

# أوائل الدواوين الشعرية المعاصرة المنشورة في عدن



د. شهاب غانم

في نهاية العشرينيات من القرن العشرين، بدأت نشأة نوادي الإصلاح الأدبية في عدن؛ أولاً في مدينة عدن القديمة التي سماها الإنجليز «كريتر»؛ لأنها بنيت في فوهة بركان خامد، ولعلّ النار التي ستخرج قبل الساعة كما جاء في حديث أبي داود: «نار تخرج من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر» تكون منه. وكان مدير النادي في بدايته جدي لأمي رجل النهضة المحامي الصحفي محمد علي لقمان. وفي مدينة التواهي، وهي ميناء عدن الشهير الذي كان ثالث ميناء في العالم من حيث عدد السفن قبل إغلاق قناة السويس بسبب حرب 1967 أو ما عرفت بالنكسة، وكان رئيس النادي منذ إنشائه ولسنوات طويلة جدي السيد عبده غانم. ونشأ نادٍ ثالث في مدينة الشيخ عثمان، وكان رئيس النادي الشيخ أحمد محمد سعيد الأصبج مؤلف كتاب «نصيب عدن» رحمهم الله جميعاً.

الشمولي. ومن تلامذة العبادي الشاعر عبد المجيد الأصبج والد الزعيم السياسي العدني عبد الله الأصبج، وكان شاعراً جيداً ولكن مقلداً، ولم يُنشر له ديوان حسب علمي، ورأيت له في صحف تعود للخمسينيات بضع قصائد منها قصيدة يهديها لوالدي، رحمهما الله، وله كلمات أغنية شهيرة لحنها وغناها الفنان العدني سالم أحمد بامدهف عنوانها «تغيبت يا ناظري». والعبادي كان أيضاً من أساتذة الشاعر الفحل محمد سعيد جرادة، رحمهما الله، ولم أر أيّ دواوين أو كتب للعبادي ولكن جرادة نشر دواوين وكتب في الخمسينيات والستينيات. أمّا السيد عبدالرحمن بن عبيدالله والشيخ على أحمد باكثير المسرحي الشهير والسيد عبدالله بن يحيى الذين ذكرهم محمد علي لقمان في مقاله فكانوا من شعراء حضرموت في زيارات لعدن.

## الوتر المغمور، وأشجان في الليل

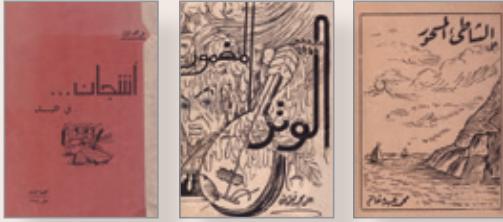
أما أوّل ديوان شعري يُنشر في عدن فكان «الوتر المغمور» عام 1944 لخالي ووالد زوجتي الشاعر علي محمد لقمان (1918-1979)، وطبع الديوان في مطبعة «فتاة الجزيرة» صحيفة والده وأوّل صحيفة مستقلة في عدن، وكانت سياسية اجتماعية أدبية ثقافية. وكان الديوان متأثراً كثيراً بالشعر الرومانسي الذي كان ينشره شعراء حركة أبوللو، وشعراء المهجر وحركة الديوان، علاوة على تأثر علي لقمان بأحمد شوقي والمتنبي والأندلسيين، وبأستاذه في المدرسة الثانوية وزوج أخته والدي محمد عبده غانم الذي كان ينشر قصائده في «فتاة الجزيرة»، ونال جائزة الشعر الأولى في الجامعة الأمريكية ببيروت من

كتب محمد علي لقمان مقالة عام 1941 بعنوان «شعراء عدن» في صحيفته الشهيرة «فتاة الجزيرة» التي سمح له البريطانيون بإنشائها في أول يناير 1940 بسبب الحرب العالمية الثانية، بعدما رفضوا قبل ذلك الترخيص لها، ومنها: «ويعود الفضل في وجود عدد من الشعراء في عدن إلى بعض النوادي الأدبية التي أسست فيها منذ أكثر من ستة عشر عاماً، فقد كان حينذاك يقدّم إلى المدينة شعراء وشخصيات بارزة من أبناء العرب، كالسيد عبدالرحمن بن عبيدالله، والشيخ على باكثير، والسيد عبدالله بن يحيى فتحتفل بهم النوادي ويسمع أعضاؤها القصائد الرثائية في طلب المجد والحثّ على خدمة الأوطان. وتكرّرت هذه الحفلات وسرت عدوى الشعر إلى بعض الشباب حتى إلحاحي؛ فقلت كما قال غيري شعراً لا قيمة له البتة، إلا أنه خلق شعراء ثلاثة هم عبدالجيد الأصبج والسيد محمد عبده غانم وعلي لقمان».

فهنا محمد علي لقمان يقول بوضوح: إنه نظم بعض الشعر ولكنه لم يكن شاعراً. وفي رأبي أنّ النوادي لا تخلق الشعراء ولكن تُوجِد أهمّ منصة لتقديم شعرهم.

وكان ممّن يكتب شعراً في تلك الفترة الشيخ أحمد العبادي، الذي كان أستاذاً في معهد لتعليم الفقه والأدب في نادي الإصلاح العربي، ولكنه كان نظماً تقليدياً من شعر العلماء الذي يغلب عليه الوعظ. وكان من تلامذة العبادي في تلك المدرسة العلامة الشيخ محمد سالم البيهاني الذي كان ينظم الشعر الديني، وله قصيدة جميلة في الحين إلى عدن بعد أن اضطر لمغادرتها بعد مجيء الحكم

## من تلامذة العبادي الشاعر عبد المجيد الأصنح وكان شاعراً جيداً ولكن مقلداً ولم ينشر له ديوان حسب علمي ورأيت له في صحف تعود للخمسينيات بضع قصائد



أشجان في الليل      الوتر المغمور      على الشاطئ المسحور

وقد نال الديوان الكثير من التقريظ، خصوصاً أنه كان أول ديوان معاصر من اليمن وممّن قرضه الشعراء محمد محمود الزبييري وزيد الموشكي ومحمد حامد البار ومجلة «المستمع العربي» التي كانت تصدرها هيئة الإذاعة البريطانية. وقد أصدر لقمان في العام التالي ديواناً بعنوان «أشجان في الليل» عام 1945 في دار فناة الجزيرة، تغلب عليه النزعة الكلاسيكية الحديثة وبعض قصائد المناسبات، ومن عناوين القصائد: استقبال العام الهجري عام 1363، تكريم صديق، ذكرى شوقي، أبو العلاء المعري، العراق في الحرب «أي العالمية الثانية» الشعر والمجتمع وقصيدة بلا حجاب ومنها:

هذا مقامك تحت الشمس يا وطن

مذمم، يضحك الأحرار، ممتهن

كل أفاقٍ ولم تنهض وأيقظته

صوت وأقعدك التدجيل والوسن

من كل تدليس أفاك عمامتة

شر يضيق بما يستحدث الزمن

أو كل ذي غرض فينا مصالحة

كروحه سفلت والشعب ممتحن

والناس صنفان: أرواح منابتها

نور السماء، وبعض طينها الوطن

وقد افتتح لقمان ديوانه الذي أهده لوالده بصورة له وأبيات وجهها للذين تباهاوا:

بين شعراء غدا بعضهم لامعاً مثل عبد المنعم الرفاعي رئيس وزراء الأردن الأسبق، كما نال غانم جوائز في كل المسابقات التي كانت تقيمها هيئة الإذاعة البريطانية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية. ولكن غانم انشغل بوظائف عليا في التربية والتعليم فتأخر قليلاً في نشر ديوانه، بينما استفاد تلميذه علي لقمان من النشر في دار يملكها والده، رحمهم الله جميعاً، وكان غانم ولقمان يعرضان قصائدهما على بعض في تلك المرحلة. وكان لقمان أول خريج عدني في الصحافة، وتخرّج في جامعة القاهرة، وكان من مدرسيه وأصدقائه مصطفى أمين وشقيقه علي أمين.

ولو نظرنا إلى عناوين قصائد «الوتر المغمور»، لرأينا التوجّه الرومانسي الجديد جلياً ومنها: كرمة الشعر، إيلين، التمثال، تأملات حائرة، الخيال الشارد، ذات الثوب الأزرق، الإيرلندية العازفة، أنفاس عاشق، الوتر المغمور وصلاة قلب، وهذه الأخيرة صارت أغنية عدنية معروفة لحنها المرشدي (محمد مرشد ناجي) ومنها:

هو قلب عصف الشوق به

فترامى في حنين وأنين

ينشد الأزهار من أوصابه

نغمة فيها تباريح السنين

من دعاء وصلاته

وصبابات وآه

أترى الحب الحياه؟

أم هو السر الدفين؟

وفي قصيدة بعنوان «عدن - هذا الوطن العربي» يقول لقمان مخاطباً الاستعمار كما يبدو:

خطرات قدك أم رماح أيبك

مزقن قلب العاشق المنهوك؟

نشر الصبا في مقلتيك شعاعه

نشر الضياء الحب في واديك

يا بنت معتنق الصوارم والقنا

تالله ما هذا الغليظ أبوك

## أول ديوان شعري ينشر في عدن كان «الوتر المغمور» عام 1944 وطبع الديوان في مطبعة «فتاة الجزيرة» أول صحيفة مستقلة في عدن



غانم في شبابه



قل للذين تباهاوا



لطفي أمان

### على الشاطئ المسحور

ثاني شاعر من أبناء عدن ينشر ديواناً فيها كان والدي د. محمد عبده غانم (1912 - 1994)، رحمه الله، في مطبعة فتاة الجزيرة أيضاً بعنوان «على الشاطئ المسحور» عام 1946. أمّا القسم الأول فكان يطفح بالأسلوب الرومانسي الذي كان قد سبقه إليه شعراء مدرسة أبوللو، ومدرسة الديوان وشعراء المهجر، وقبلهم الشعراء الرومانسيون الأوروبيون، وقد قرأ غانم شعرهم بالإنجليزية مباشرة، وبالفرنسية أيضاً. ويقول الناقد والشاعر اليمني المعروف د. عبد العزيز المقالح عن غانم: «إنه - من دون شك - مؤسس المدرسة الرومانسية في شعر اليمن المعاصر، إذا لم يكن في اليمن كله ففي جنوبه على الأقل». ومن عناوين قصائده في القسم الأول الذي سمّاه «الخافقات» وأهداه لحبيبته نقرأ: أنشودة القبل، السر المباح، الهوى والليل، وأمين التي ترجمها المستشرق الشهير آربري إلى الإنجليزية ومنها:

### لست تمشين على الأرض ولكن فوق قلبي

تلك أنغام خطىّ قد مازجت روجي ولبيّ

نقلني الخطو كما شئت ولا ترثي لصبّ

ضاق بالآلام والآمال في بُعدٍ وقربٍ

\* \* \*

ما براك الله مثل الناس من لحمٍ وعظم

أنت إشعاعٌ من القدس لقلبي المستحمّ

جمع الله بك الألوان في أبدع نظم

وأرانا كيف يجلو آية الحسن الأتمّ

ومنها:

لست أدري ما الذي تخشين مني لست أدري

وأنا الشاعر لا أرضى لمخلوقٍ بضراً

أنا لولا لوعتي صنتك في قلبي كسريّ

ومنعته القلب أن يخفق حتى لا تضري

أمّا في القسم الثاني من الديوان، والذي سمّاه «المحلقات»

وأهداه للمدنيين في وطنه، فقد حشد القوائد التأميلية والوطنية وشعر الهم العام. ومنه قصيدته الرمزية الشهيرة «حديث الجماجم» التي تروي حكاية شاعر ذهب إلى مقبرة هرباً من ضجة العالم، وهناك غلبه النعاس فرأى في اللحم جمجمتان تختصمان واحدة لسيدة والأخرى لخدمة كانت تعمل لديها أثناء حياتهما ويدور بينهما حوار شائق منه:

قالت: كفى يا قدوة الأكملين

بأنفك المعوج لا تفخري

قد زال ذاك الأنف في الزائلين

وضاع مجد المال والعنصر

نحن هنا عظمان لو تعقلين

لا فضل للعظم على آخر

بل ربما كنت بما تعملين

أحقر في الخبر من المنظر

لا تجهلي فالويل للجاهلين

إذ يلبسون الحق بالمنكر

وقد نشر غانم في القسم الأخير من الديوان الذي سمّاه «السباقات»، وأهداه إلى والده الذي يفرح برؤية ابنه الشاعر سابقاً، ست قصائد نال فيها جوائز؛ الأولى كانت قصيدته الشهيرة «ابنة الراقصة» التي فاز فيها بالمسابقة التي عقدتها جمعية العروة الوثقى في الجامعة الأمريكية ببيروت عام 1936، والقصائد الخمس الأخرى شارك فيها في مسابقات شعرية عقدتها هيئة الإذاعة البريطانية

## نلاحظ التوجُّه الرومانسي في الدواوين العدنية الأولى مع الاهتمام بالهم الوطني لثلاثة شعراء هم في رأيي أبرز شعراء عدن في القرن العشرين

### الشعراء الأربعة ظلّوا طوال حياتهم من أهم الأصوات الشعرية في اليمن ولعبت مطبعة فتاة الجزيرة دوراً في نشر تلك الدواوين

ولنقرأ عناوين بعض القصائد الرومانسية في «بقايا نغم» الذي رسم صورة غلافه بنفسه، وكان يتشكّل من عادة عارية وعود وكتاب وكأس، وقد كان لطفي موهوباً في الرسم: النغم السجين، قلب من رماد، أسداف، وراء الضباب، ليلة في العمر، صدى حب، وقصيدة «الصوفي المعذب» التي أهداها إلى روح التيجاني يوسف بشير. يقول في قصيدة «البولندية الحساء» الذي يبدو فيها تأثيره بعلي محمود طه في قصيدة «القمر العاشق»:

مقامك في سماء الله لا في هذه الأرض  
جمال أنت لم يخلق سوى من نوره المحض  
يزينك من هوى عيسى صليب طاهر الومض  
على نهدين مسحورين في صدرهما البض  
خذيبي إن بدا صدرك في عيني ولم أغض  
وإن لفت يدي نهديك في رفق ولم ترضي  
وإن طافت بي الأشواق في مخدعك الغض  
وأنت مفاتن عريت لنور القمر الفضي  
فلي في حبك العطري قلب ساكر النبض

ولكن في الديوان قصائد عدة تتعلّق بمناسبات مثل ميلاد مجلة أفكار لمحمود لقمان، وتحية سيف الحق إبراهيم ابن إمام اليمن عند إنشاء الجمعية اليمنية الكبرى التي كانت تطالب بالإمام بحكم دستوري، ومثل مرثاته في سلطان لحج. وهكذا نلاحظ التوجُّه الرومانسي في الدواوين العدنية الأولى مع الاهتمام بالهم الوطني لثلاثة شعراء هم في رأيي أبرز شعراء عدن في القرن العشرين وانضم إلى صفهم الأول بين شعراء عدن الشاعر محمد سعيد جرادة، كما ظلّ الأربعة طوال حياتهم من أهم شعراء اليمن. وفي هذا المقال نلاحظ أيضاً دور مطبعة فتاة الجزيرة في نشر تلك الدواوين.

أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية ونال فيها جوائز عالمية.

### بقايا نغم

الشاعر الثالث الذي نشر ديوانه الأول بعد لقمان وغانم، هو الشاعر الرومانسي لطفي جعفر أمان (1928-1971) وقد نشر ديوانه هذا في مطبعة فتاة الجزيرة أيضاً عام 1948 وكان عمره 20 عاماً فقط، وقدم للديوان والذي محمد عبده غانم. وكان لطفي قد تخرج للتو بشهادة دبلوم من السودان، وعمل في مدرسة السيلة الابتدائية بعدن بعد عودته، ودرسني مادتي اللغة العربية والتاريخ، وكان أستاذاً متميزاً، ثمّ درسني في كلية عدن مادة التاريخ لمدة عام أيضاً. بقي لطفي رومانسياً في مشواره الشعري ورحل مبكراً في سن الثالثة والأربعين، ورثاه والذي بقصيدة جميلة طويلة. وقد تأثر لطفي بشعراء أبوللو ومنهم الشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير الذي اطلع على ديوانه إشراقاً في الخرطوم، كما يبدو أنه كان شديد الإعجاب بغانم ورثب بديوانه «على الشاطئ المسحور» بقصيدة تدل على أسلوب لطفي القريب من التقليدية في بداياته ومنها:

### يا شاعراً كلما رنت قياثره

حسبت أنّ مآسى الكون لم تكن  
هل صقّ الروض إلا كلما خطرت  
في سوحه نغمة من عودك الفطن  
وهل تبسّم زهر مال من طرب  
إلا وألفاك غريداً على فنن  
تالله ما فاض شعر أنت قائله  
إلا وختته لحناً في فم الزمن  
سجا بي الليل إلا نغمة طفرت  
كأنها جرس خطو الغادة الحسن  
هفت من (الشاطئ المسحور) راقصة  
نشوى تعربد في قلبي وفي أذني  
وودعتني على لقياء فقلت لها  
زفي سلامي إلى الأحباب في عدن